

المصادر والمراجع

- إحياء علوم الدين، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، عالم الكتب، دت.
- الأسس البنوية لفكر الحدائثة الغربية، لمحمد شريح، دار الفكر، دمشق، ط ١، ٢٠٠٧.
- تجديد المنهج في تقويم التراث، لطف عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط ٣، ٢٠٠٧ م.
- التراث والمستقبل: تعليقات بصدد التراث والفكر الحديث، لسلامة كيله، دار الصعود، دمشق، ط ١، ١٩٨٨ م.
- حلية الأولياء، لأبي نعيم الأصفهاني أحمد بن عبد الله، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٤، ١٤٠٥ هـ.
- الحيوان، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤ هـ، ط ٢.
- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون، تحقيق خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط ٢، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- رسائل الجاحظ، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م، ٤ ج.
- سنن ابن ماجه، لأبي عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجه القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي، ٢ ج.
- سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر (ج ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج ٣)، وإبراهيم عطوة عوض (ج ٤، ٥)، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط ٢، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م، ٥ ج.
- العمل الديني وتجديد العقل، لطف عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط ٤، ٢٠٠٦ م.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير، لزين الدين محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط ١، ١٣٥٦ هـ، ٦ ج.
- لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفرريقي المصري، دار صادر، بيروت، ط ١، ١٥ ج.
- المنقذ من الضلال، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، تحقيق عبد الحليم محمود، دار الكتب الحديثة، مصر.

* * *

تعقيبات ومدخلات

□ د. مصطفى لبيب عبد الغني*؛

أشكر د. فيصل الحفيان على دعوتي للمشاركة في هذه الجلسة التي استمعنا فيها لمحاضرَتَيْن: الأولى عرضت لمقولة عرضاً جدلياً؛ ولم يكتف د. الأنيس - صاحبها - بمجرد العَرَض، وإنما نقدها. وأول ما يلفت في هذه المقولة أنها تغفل عن موسوعية العِلْم الإسلامي، فالعلوم الإسلامية ليست مجرد البيان والتفسير والحديث والفقه، وكل ما عرضت له هذه المقولة بإجمال.

لا يُقال أبداً في أي عِلْم إنساني عبارة: «الكلمة الأخيرة»، والحضارة الإسلامية تنطلق من إيمان راسخ بالفرق بين المقدس والإلهي من جهة، والإنساني من جهة أخرى؛ فالإنساني غير مكتمل بطبيعته، ففي أي لحظة من اللحظات هناك ما يمكن أن يُقال.

إن أهم ما يميّز الحضارة الإسلامية عن حضارات الدنيا كلّها، أنها حضارة عالمية أسهم في صنْعها كل الناس: عرباً وغير عرب، من مِلَلٍ مختلفة ومكوّنات ثقافية متعدّدة، فجاءت على غير مثال سابق.

(*) أستاذ بكلية الآداب - جامعة القاهرة.

الآلاف للنظر أن حركة الترجمة الإسلامية ظلَّت دون توقُّف أو انقطاع لمدة قرنين من الزمان، وهذا لم يحدث من قبل ولم يحدث من بعد: أن تُنقل كل علوم الدنيا إلى اللغة العربية، وهذه بادرة طيبة أول دلالتها الرغبة المستمرة في امتلاك كل المعرفة المتاحة الممكنة.

ما أثارته المحاضرتان على السواء فكرة جليلة مهمَّة، وهي فكرة «ختام النبوة في الإسلام»، أي إن الدين الإسلامي هو رسالة للعالمين جاء آخر كلمات السماء إلى الأرض. وقد كان هذا إيذاناً برفع الوصاية عن العقل الإنساني، فأصبح الإنسان منذ هذه اللحظة مكلفاً ومسؤولاً عن صناعة حياته وعمارة الأرض بطريقته.

هذه طاقة جبَّارة انفتحت على المعرفة وعلى صياغة الوجود صياغة جديدة على غير مثال سابق.

فالتراث الإسلامي هو حقيقة تراث العالم كلِّه، فما نسَّميه «تراثنا» هو ملك للإنسانية كلِّها، والحضارة الغربية انطلقت من جود استعمار هذا التراث، وهو استعمار لم ينقطع من جانب الغربيين حتى الآن، ولا ننكر فضل علماء الغرب في تنبيهنا إلى قيمة هذا التراث.

إذا نظرنا إلى محاولات التصنيف المتتابعة في الحضارة الإسلامية للعلوم، نجد بدايات مع الكندي، وجابر بن حيَّان، وأبي حيَّان التوحيدي. ثم نستشعر هذه المحاولات في كتاب «إحصاء العلوم» للفارابي، الذي يعرض لوحة مكتملة للعلوم الدينيَّة والدينيَّة والعقلية والنقلية، والعلوم المستحدثة في الملة الإسلامية التي نبعت من تربة الحضارة الإسلامية، ويضرب أمثلة عليها، مثل: «عِلْم أصول الدين»، و«عِلْم الكلام»، و«عِلْم الفقه»، و«عِلْم الحديث».

هذه علوم حادثة في الملة الإسلامية، وهي علوم تُصاغ صياغة عقلية، وهناك فارق بين العلوم الدينية، وبين الدِّين في حدِّ ذاته.

وإذا نظرنا هذه التصنيفات المتتابعة نجد أن كل تصنيف يعكس عصره، فإذا وصلنا - مثلاً - إلى ابن الأَكْفاني (ت ٧٤٩هـ)، وابن خلدون (ت ٨٠٨هـ) في العصر المملوكي المتأخَّر نجد موسوعات العلوم المعروضة، وهي علوم كثيرة بعضها يكشف عن مزيد من التخصص الذي لم ينقطع من جملة العلوم الأصلية الأساسية وابتداع علوم جديدة.

ومن الملامح المهمَّة للحضارة الإسلامية: نجاحها الحقيقي في ابتكار جملة من العلوم، لم تكن معروفة؛ لأن المسلمين عندما تسلَّموا التراث القديم لم يُخضعوا لسلطته خضوعاً تاماً، وإنما تعاملوا معه من خلال موقف نقدي.

وفي البداية نجد كتاباتٍ لافتة للنظر في القرن ٣هـ / ٩م، مع اكتمال العلوم الإسلامية، تأخذ موقفاً نقدياً من النظريات العلمية اليونانية أو الهندية، أو ما سواها. وهذا يظهر في أسماء الكتب، مثل: «الشكوك على بطليموس»... وغيرها، ولم يمنع تقدير علماء الإسلام لرموز العِلْم الكبيرة من أن يكون لهم موقف وملامح متميزة ونظرة نقدية. وهذا راجع إلى إيمانهم المطلِّق بسلطة العقل الإنساني وقدرته على أن يقول رأيه، ولإيمانهم بأن العقل بنية يتشكَّل من خلال الواقع وليس بنية مغلقة؛ لأن هذا العقل هو عقل الإنسان، والإنسان حاضر في اللحظة، ووجد في الماضي، وقادم في المستقبل، فليس هناك دائرة يُغلق معها بُنيان العِلْم ويكتمل.

وقدَّمت الحضارة الإسلامية - من خلال استقراء سريع لها - الدرس الباقي الذي استوعبه الغربيون؛ وهو النزعة العقلية النقدية، يعني الإيمان بسلطة العقل وقدرته على الفهم، والنزعة التجريبية، أي أن نحاول من

جديد، وأن نخوض التجربة من جديد، وهذه النزعة من أهم ما دفع الحضارة الغربية إلى الرُّقي والازدهار.

كما أشار د. محمود مصري إلى المنهج الاستقرائي؛ لأن الحضارة الإسلامية تكشف لنا عن رؤية واحدة لتنوع المناهج، وليس تفسيرًا لمنهج واحد، هناك جملة العلوم الرياضية لا يصلح لها غير منهج صوري استنباطي يستدل على النتائج بالمقدمات، لكن جملة العلوم الأخرى الطبيعية والإنسانية لا سبيل إلى صناعتها إلا بالتجريب.

أطلق المسلمون مصطلح «صناعة» على العلوم، حتى الفلسفة، فعندما عرّفها الكندي (ت ٢٥٢هـ) قال: إنها صناعة عقلية في حدود الطاقة الإنسانية، وعبارة «في حدود الطاقة الإنسانية» هنا - نوع من الاحتياط؛ لأن الأفكار لا تتوقف مسيرتها أبدًا في تاريخ البشرية؛ فالعلم يُصنَع على الدوام، وصناعته مسؤولية إنسانية.

وهناك أمر مهمٌّ أيضًا هو التفات كبار علماء الإسلام إلى أن المعرفة البشرية نسق عامٌّ، ولا يُجسّد هذا النسق ولا ينوب عنه أي تجسيد أو تجلٌّ في لحظة من اللحظات، الغزالي يكتب «تهافت الفلاسفة» فيرد عليه ابن رشد بـ«تهافت الفلاسفة»، أليس في ذلك دليل على عمق الوعي الذي تمتعت به الحضارة الإسلامية التي نشأتراثنا العظيم في حضنها.

* * *

الجلسة الثامنة .

المحاضرة الختامية